

"الإنسان مبدأ، والمبدأ ثبات على الحق، والحق كلمة في وجه الظلم"
ترعرعت صغيراً في حزب أطلق على نفسه طليعة العمل التقدمي،
والديمقراطي، وقائد مسيرة العنف المسلح ضد ثلاث قوى هي الصهيونية،
والإمبريالية العالمية، والرجعية العربية، وضع أسسها ومنهجها الثابت الراحل
حكيم الثورة (جورج حبش) الذي قدم لنا فكراً قومياً، ماركسياً قاد من خلاله
حزب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي خاضت عملية تحول فكرية معقدة
في مسيرتها الأيديولوجية، و صاحب هذا التحول أحداث ومتغيرات متلاحقة
على ثلاث جبهات، الجبهة الداخلية التي شهدت انفصال داخلي من تيار على
رأسه (نايف حواتمة) تحت ما يسمى الخلافات الفكرية، وانسحابات
قادها (أحمد جبريل) وتنازعات بين اعتقال المؤسس في سوريا، وملاحقة
قيادات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وخلاف داخل أطرها حول نوعية
العمل العسكري وخطف الطائرات الذي وقف على رأسه (وديع حداد)،
وملاحقة العدو الصهيوني لقادة ومفكرين الحزب من اعتقال واغتيال... إلخ.
ومنازعات على الجبهة القومية العربية والتي كان من أهمها الخلاف مع
الرئيس المصري (جمال عبد الناصر) وهو من أهم الإشكاليات التي وقفت في
طريق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومسيرة فعلها القومي والوطني، أضف
لخلافاتها مع الأنظمة الرجعية سواء العربية أو غير العربية في منطقتنا
الملتبهة صراعاً ذو حدين حد مع الكيان الصهيوني وهو جوهر الصراع، وحد
مع الخلافات الفلسطينية والفلسطينية، والعربية- العربية، والفلسطينية-
العربية.

ومتغيرات دولية متسارعه ومتلاحقة منها ما أثر على القضية الفلسطينية
وعملية النضال الوطني، ومنها ما انعكس سلباً على نهج وفكر الجبهة ذاتها.

نضجنا وكبرنا وتعلمنا في هذه المدرسة التي جذبتنا فكرياً وسياسياً وعسكرياً بما أنها كانت في طليعة المشهد الوطني، وتخوض تنافساً مع حركة فتح لقيادة الشعب الفلسطيني، وهو ما كان يرجح للأخيرة بما أن حزب الجبهة الشعبية كان يعتمد على عملية انتقاء النخبة من الطليعة الثورية الشعبية لتتقدم الصفوف، وتفود العمل الجماهيري والنضالي.

لقد عشت مراحل العمر الأولى في صفوف هذا الحزب متدرجاً من العمل الطلابي إلى الجماهيري إلى العسكري ثم العمل في الأسر أي في سجون الاحتلال من خلال منظمة جيفارا غزة في سجن غزة المركزي حتى كانت المفصل الرئيسي بعد اتفاقيات أوسلو عام ١٩٩٣ وما شهدته حالتنا الثورية من متغيرات بنيوية عامة أثرت على كل البناء الحزبي والوطني عامة.

هذه المسيرة التي كانت غنية وثرية بقيم ومبادئ ثابتة استنبطناها من قيم الإنسان الثوري الذي كنا نلم صفاته بأدبيات الحزب، وخطابات وأقوال الحكيم (جورج حبش، وغسان كنفاني) فكرياً وأدبياً ثورياً مع الفعل العسكري الثوري الصلب الذي عبّر عنه الشهيدان (وديع حداد) ورفيقته (ليلى خالد، و" جيفارا غزة " محمد الأسود) ولا أنكر تأثير الكاريزما الخاصة لبعض الرفاق الذين أثاروا في كينونتي أمثال الشهيد (علم الدين شاهين)، الفقيد (محمود الغرباوي)، والرفيق (بلال كريم)، الرفيق (فتحي البواب)، الرفيق (أحمد قطامش) ومجموعة كبيرة من الرفاق، وعلى وجه التحديد الفقيد (محمود الغرباوي) القائد الكبير الذي كان نموذج للتواضع الثوري، ونموذج وقادة وأسوة حسنة، اجتمع على حبه والتعلم منه الرفاق وغير الرفاق وربما من

أكثر من أثروا في شخصيتي واكسبوني صفات البساطة والتواضع المصحوب بالثورية والنضالية هو هذا الرفيق، أضف للرفيق (فتحي البواب) الذي اكسبنا الفكرة الأيديولوجية بسهولة ويُسر، حتى تمكنا من هضمها ومزج الفكر بالبندقية، والجرأة بالثبات على المبدأ.

أتذكر كل تلك المراحل والسنوات منذ الثمانيات التي كنت بها في سن مراهقتي بين مجموع رفاقنا في الأطر الطلابية والجماعية حتى ما بعد أوصلو، وكيف إننا تعلمنا أن نعض على بنان الألم والجرح ولا نرضخ بالاستسلام، فتعرضت للاعتقال مرتين من سلطة أوصلو وعانينا الفقر والتهميش، ورغم ذلك كان المشهد أمانا وكلمات وأفعال رفاقنا أمانا، ومبادئ هذا الحزب أمانا " كالجمود".

في هذه المسيرة علمونا أن الوطن أساس العملية النضالية، وأن الحزب وسيلة للوصول إلى الوطن، وأن الوحدة الوطنية هي وقود هذه الوسيلة، وأن الدم الفلسطيني خط أحمر لا يجوز تجاوزه، وأن صراعنا الداخلي لا يكون بالدم، لذلك حافظنا على ما يربطنا مع كل الفصائل الوطنية في منظمة التحرير الفلسطينية من روابط نضالية وطنية لأجل هدف واحد، نختلف على قاعدة "صراع- وحدة- صراع"، نتحاور، ننتقد لكن لا نطلق رصاصة الرحمة على مشروعنا الوطني الجامع لنا جميعاً، لذلك ارتضت الجبهة الشعبية أن تكون الفصيل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية، رغم أنها كانت في العديد من المراحل قادرة على عملية الحسم بكل الوسائل، إلا أن حزب يقوده الحكيم (جورج حبش) ما كان رغم كل الصراعات والتناقضات مع حركة فتح أن يصبوب بنادقه لصدر أخوته، فالصراع رئيسي مع الكيان الصهيوني ولا

صراع آخر يحرف بوصلة حزب خاض عملية التحول الأيديولوجي ليصل إلى فلسطين ويقود شعبها نحو الدولة الديمقراطية.

وما ينطبق على حركة فتح ينطبق على كل فصائلنا الوطنية والإسلامية، حيث نأت الجبهة الشعبية بنفسها عن تلوّث وتدنيس مسيرتها الثورية الطاهرة، فكانت دوماً تتوضأ من حب والتفاف شعبنا حولها، وتصلي في محراب عملها الثوري الطليعي، لذلك لا زلنا نؤمن حتى كتابة هذه الكلمات أن القوة الحقيقية أن تقارع عدوك في ساحة المعركة بكلّ الأسلحة وتقارع خصومك الوطنيين بمبادئك، ونقدك، وكلمة حق في وجه ظلم وظالم، لأن الجامع الأكبر هو فلسطينينا.

إذن من حقنا أن ننتقد، وأن نقسو في نقدنا، وفي نصحننا لأخوتنا في مسيرة العمل الوطني وكذلك لرفاقنا في الجبهة الشعبية ونرى أحوال أمتنا العربية بروئيتنا ونظرتنا، ونقدم خبرات ما اكتسبناه سواء أصبنا أم لم نصب.